الزوجة الحقيقية

تابع صفحة ٣٨٠

في ربيع هذه السنة قابلت صديقاً لي من تلك القرية فسألته عن اسماء . فقال لي مسكينة هذه المرأة فقد لحقت زوجها الى بلاد المهجر لتعود به من هناك واخبرنا عنها مما يكدر فاسمع لاحدثك ماذا قال

في اواخر الصيف الماضي وصلت الى البرازيل امرأة تلوح عَلَى جبينها ادلة الذكاء والفطنة تقود في يدها طفلاً صغيراً وتسأل عن رجل تقول انه زوجها ونحن نعرفه شاباً لم يتزوج بعد غير ان احدى الغانيات تحبه ويحبها وهي عائشة معه كزوجته فتنفق عليه وقلما يفترقان مضجعا . وقادها احد معارفه الى مسكنه فطرقت الباب ودخلت وكان اذ ذاك يسكر مع حبيبته الجديدة فالتفت ورأى امرأته الامينة الصادقة وبيدها طفله آية اليوم وقد ظهرت علامات السرور والارتياح عَلَى جبينها حين رأته . وكأن نفسه الحقيقية المتوارية في زوايا قلبه استفاقت تلك الحظة من سباتها العميق فعاد الى رشده وتمثل له الماضي كأنه ومرّت في مخيلته صورة المرأة الضعيفة الناحلة . صورة الزوجة الحقيقية النائحة عَلَى الحرمة والعهد ورآها في تلك الدقيقة تقترب منه وكأنها تقول له حتى مَ الغياب والفراق يا زوجي العزيز . وتذكر اذ ذاك ودادها واخلاصها وامانتها تذكر عفتها وشرف نفسها ومحبتها ففازت نفسه الحقيقية الصادقة عَلَى نفسه الفاسدة الضالة ورمى الكأس من يده والوى بجسمه عَلَى امرأته التي كانت قد وصلت الى ان وقفت امامه . ثم اخذ يقبلها ويقبل طفله ويضمه الى صدره ويبكي . وتحركت عواطفها فكانا يبكيان كلاهما بدموع سخينة ويقول لها العفو يا اسما . العفو يا زوجتي العاقلة اصفحي عن ذنوبي فان الله قد ارسلك الي لتردعيني عن فسادي وتقفي حاجزاً منيعاً بيني وبين اهمالي فاتوب الى الله واكفر عن ذنوبي قبل ان اموت . وامتزجت دموعهما فكانت تجري مزيجاً الى الارض واختلطت انفاسهما فنسيا مركزهما وغاب عن بال الزوج ان الغانية التي احبته ووعدها بالزواج فانفقت مالها في سبيله قد جحظت عيناها وتغيرت هيئتها اذ فهمت بذكائها سر الامر حين رأت الزوج يقبل الطفل فصعد الدم الى رأسها وزأرت كاللبوة تدفعها غيرتها الشديدة فاخذت سكيناً واسرعت لتغرزها في قلب الزوجة المسكينة فولت هذه هاربة الى زاوية الغرفة وصاح الطفل يا امي ووقف الزوج حائلاً بين الزوجتين وكل منهما تظن نفسها صاحبة الحق

وافلتت بغتة من يده فهجمت ثانية عَلَى اسما المسكينة والالفاظ الهائلة تتساقط من فيها· وسقطت اسما عَلَى الارض لا تعي فكادت الغانية تقضي عَلَى حياتها لو لم تكن يد الزوج الذي تغير في ثانية واحدة اقرب الى عنقها فوقعت مائتة

وعرفت الحكومة فلم تجد شاهداً لحقيقة فحكمت بوجدانها ان المرأة وزوجها اتفقا فقتلا الغانية طمعاً بمالها فحكموا عَلَى الزوج بالسجن المؤبد وحاولت اسما ان تبقى في خدمته فنفوها الى بلدة بعيدة في اطراف تلك الولاية

وسارت اسما يأكلها الالم ويذيبها الافتكار اذ يخطر في بالها زوجها وقريتها وبلادها وتنظر امامها فلا ترى الا طفلاً صغيراً يقرب من الموت بخطى واسعة

ووصلت تلك المدينة وهي في حالة المرض الشديد فادخلوها دار الفقراء وهم يحسبونها المومسة المجرمة كما اعلنت الجرائد المحلية عنها·

وكان طفلها نائماً بجانبها ودموعها تجري وهو يقول لها اين ابي الذي وعدني به يا ماما· ارجعيني يا امي الى القرية فاحب ان اعود الى ارفاقي الصغار لنلعب سوية · وكانت اسما تشكو العلة وتشعر بالخطر الشديد المحدق بها وترى بعين البصيرة هاوية الموت المفتوحة امامها وتبصر بجانبها وجه طفلها الناحل كأنه يقول لها وانا ايضاً سأرافقك الى القبر يا اماه

واشتد المرض عليها ذلك الليل فكانت تصيح متألمة ونام طفلها عَلَى صدرها وقال لها لا تبكي يا ماما بل اذا شئت فقولي ليسوع الذي كنت تطلبين منه حين هياج العاصفة في البحر ان يسكن الامك · اليس يسوع حبيبك يا ماما

وقد قلت لي انه يقدر عَلَى كل شيء فاطلبي منه ان يأتي الينا وينقلنا من هذا المكان ويسكن اوجاعك ويردنا الى بيتنا الصغير في القرية

ثم نهض الولد برغبة كان شيئاً جديداً خطر له وركع بجانب امه المحتضرة وتذكر الصلاة الذى علمته اياها فقال : يا يسوع يا حبيب أمي خلصنا من هذا البحر وكن معنا ومع البابا واوصلنا اليه بسلامة

وانحنى ثانية عَلَى امه بسرور وقال لها لا تخافي يا اماه فقد طلبت من يسوع ووضع جبينه عَلَى خدها فشعر ببرودة جسمها فارتعش من الخوف واخذ يهز جسمها بيده الصغيرة ويقول لها يا امي

واستفاقت اسما بغتة ففتحت عيناها وطوقت عنق طفلها بذراعيها وقبلته القبلة الاخيرة وقالت له يا ولدي انا ذاهبة الى حبيبي يسوع

واخذ الطفل يناديها بصوت مرتجف ويضع اصبعه في فمها ليجعلها تنطق · وكان يبكي ويقول ردي علي" يا اماه فاني اكاد اموت من الخوف

اجيبي يا اماه ومالك لا تتكلمين ثم ركع ثانية وصلى قائلاً : يا يسوع انت اخذت امي وليس لي من الدنيا سواها فارجعها الي" يا يسوع او خذني الى عندها

واتى البعض على صوت بكائه فوجدوا الام مائتة والطفل نائماً على صدرها يبكي وقد احاط جسمها بذراعيه الصغيرتين وبجهد شديد تمكنوا ففصلوه عنها · ثم اعلموا الحكومة فاخذوا الطفل الى ميتم اليسوعيين ودفنوا الام في مدفنة الغرباء

فيا احبا · يا اسمى النساء وافضلهن يا من حملتك التعاسة عن شواطئ سوريا الجميلة لترميك على صخور الموت في تلك الارض البعيدة: لك الله من امرأة جاهدت الجهاد الحسن في سبيل اصلاح زوجها فخاب رجاؤها

ياليت موتتها المسكينة كان ماثلاً على عقول المتمدنات كدرس اخنى عليها الدهر ·

واذ كنت تدفنين كان الكثيرون من ابناء وطنك الشرقيين يشمتون قائلين — ما اكثر عدد هؤلاء الايطاليات المتهتكات

ذلك لانهم لم يبصروا العفاف ولا الطهارة التي كانت تحرس ذلك النعش الحامل في داخله زهرة « سورية » ذابلة ·

توفيق مفرج

* * *

اعطي قوة ، فكراً ، دمعة ، لا بل اعطِ روحك — العطاء هو دليل الحياة فالذي يعطي كثيراً له من نفسه ينابيع حية ·

قد جادت الطبيعة عليك بكل ما عندها من الشمس والهواء والماء فجودي على ابنائها جودها عليك

الطبيعة لا تتكلم الا لتثمر لا لتنطق الا لتحيي · تعلمي منها القول المثمر الجميل ·

اطمحي دائماً لاسعاد الغير فيكلل رأسك بسعادة دائمة ويمتلئ فؤادك لذة وسروراً — ويكتسب جسمك همةً ونشاطاً — وتبرق عيناكِ شعاعاً سماوياً ولمعاناً ازلياً

جوليا طعمه